ТРАГИК ПОНЕВОЛЕ
(1889)

حزين رغم أنفه
(1889)

ترجمة
وليد طلبه

حزين رغم أنفه

(صورة من حياة الضيعة)

(فكاهة فى فصل واحد)

شخصيتا المسرحية

إيفان إيفانفتش تالكاتشوف	:	رب أسرة .
ألكسيى ألكسيفيتش موراشكين	:	صديقه .

تدور الأحداث في مدينة سانت بطرسبورج ، في شقة موراشكين . غرفة مكتب موراشكين . أثاث وثير . يجلس موراشكين خلف مكتبه . ويدخل تالكاتشوف يمسك بيده غطاء زجاجيا للمصباح ، ولعبة أطفال على شكل دراجة ، وثلاثة صناديق من القبعات النسائية ، ولفافة قماش كبيرة بها ملابس ، وكيساً به زجاجة بيرة والكثير من اللفائف الصغيرة . يحلق عينيه في الغرفة كالمجنون ، ويسقط على الأريكة في إعياء .

موراشكين : مرحبا يا إيفان إيفانيتش! كم أنا سعيد لرؤيتك . من أين أتيت ؟

تالكاتشوف : (وهو يتنفس بصعوبة) يا صديقى الحميم والعزيز... لى عندك رجاء ... أتوسل إليك أن تسدي لي معروفًا في أن تعيرني مسدسًا حتى الغد . ساعدني ؛ فأنت صديقي!

موراشكين : لماذا أنت في حاجة إلي مسدس ؟



مسرحية "حزين رغم أنفه"

تالكاتشوف : أنا في حاجة شديدة إليه ... آه ، يا إلهى ! ... أعطني بعض الماء ... بسرعة!... أنا بحاجة لبعض الماء ... يجب على السير ليلاً عبر الغابة المظلمة وأن... علي كل حال . أعرني إياه! اسد لى معروفًا!

موراشكين : ما هذا ؟ ما هذا الهراء يا إيفانيتش! أي عفريت هذا الذي يسكن في الغابة المظلمة ؟ ربما تكون قد فكرت في شيء ؟ يبدو من قسمات وجهك أنك دبرت شيئًا سيئًا! ماذا بك ؟ أتشعر بسوء ؟

تالكاتشوف : مهلاً! دعني ألتقط أنفاسي ... واأسفاه يا إلهي . خارت قواي كالكلب . أشعر بوهن في جسدى ورأسي كما لو كانوا قد جعلوا من جسدي قطعة لحم مشوية . لا يمكننى الصبر أكثر من ذلك . كن صديقى الوفى ولا تسألنى ، ولا تدس أنفك فى أى تفاصيل ... أعطنى مسدسا ! أتوسل إليك !

موراشكين : كفاك يا إيفانيتش ، لماذا كل هذا التخاذل ؟ ألا تخجل من نفسك ؟ أنت رب أسرة ومستشار مدني!

تالكاتشوف : عن أى رب أسرة تتكلم ؟ أنا معذب! كما لو كنت دابة مطية ، أجيراً ، عبداً ، وغداً لا يستطيع الحياة ولا يقدر على الموت . أنا كخرقة بالية ، أحمق وأبله ! لماذا أعيش؟ ومن أجل ماذا؟ (يقفز من مكانه) قل لى أنت ، لماذا أعيش؟ في سبيل أى شيء كل تلك المعاناة النفسية والبدنية التى لا تتوقف؟ نعم أدرك جيداً أنه من الجائز أن تتعذب بسبب فكرة معينة ، ولكن أن تتعذب ، بحق الجحيم ، بسبب التنورات النسائية وأغطية المصابيح ، أن تكون مثل الخادم المطيع فلا ولا ولا ، كفى! كفاكم!

موراشكين : لا تصرخ هكذا فالجيران يسمعون .

تالكاتشوف : دع الجيران يسمعون ، فبالنسبة لي لا يمثل ذلك أي أهمية ، وإذا لم تعطني المسدس سأجد شخصاً آخراً! سوف يعطيه لي . وسأكون بالفعل في عداد الأموات! هذا قرار لا رجعة فيه !

موراشكين : مهلاً ، لقد أفزعتنى بما تقول ، تكلم بهدوء ، فأنا لا أفهم ما الذي يعكر صفو حياتك؟

تالكاتشوف : أتسألنى ما الذى يعكر صفو حياتى ؟ ماذا ؟ اسمح لى سأحكى لك وأفصح عن كل شيء ! لعل هذا يهدئ من روعى قليلاً . لنجلس . إذا ، استمع إلىّ ... يا إلهى! أشعر ببعض الضيق ! لنأخذ على سبيل المثال ما حدث اليوم . كما تعلم أننى أعمل فى الديوان بلا راحة من العاشرة صباحا حتى الرابعة عصرا ، حيث الضوضاء غير المحتملة ، ودرجة الحرارة العالية ، والذباب والحشرات الطائرة وقلة الهواء ، مجرد فوضى ، يا أخى بالإضافة إلى ذلك تجد أن السكرتير حصل على إجازة، وأن الموظف خرابوف سافر للزواج ، وأن معظم موظفى الديوان الصغار انشغلوا بالمصيف وقصص الحب والمسرحيات الرومانسية . الكل فى سُبات وخمول، الكل متعب وشاحب ، بحيث لا تنتظر منهم أى فائدة... ومَنْ يؤدى واجبات السكرتير هو عاشق وأصم فى أذنه اليسرى ، مقدمو الطلبات يبدون فى بلاهة تامة ، الكل يجرى ويسرع من مكان لآخر ، غاضبون، يهددون ، ـ كل هذا الهرج والمرج من حولك يجعلك تصرخ طلبًا للنجدة. أصبح العمل مليئًا بالضجيج والفوضى ، إنه عمل مضنى ويسير على نفس الوتيرة ، متكرر من قسم المراجعة للعلاقات العامة ويأخذ الدورة نفسها دون ثمة تغيير كموج البحر .

اعلم أنَّ بعد كل ذلك تغور عيناك ببساطة من تحت جبهتك . أعطنى بعض الماء من فضلك .... . تخرج من العمل منهك وفى إعياء تام، ترغب فقط فى تناول الغذاء وتسلتقى على الفراش . ولكن لم تستطع ! تذكر أنك مقيم الآن فى المصيف، مما يعنى أنك عبد، شخص بغيض، معذب، إنسان متجمد الحس وعليه الآن فقط أن يسرع - لو تسمح لى - كالوغد لتنفيذ الأوامر . فهناك عادة معروفة فى مصايفنا : إذا ما ذهب المصطاف إلى المدينة، فإن أصغر مخلوق حقير هناك لدية السلطة فى فرض تكليفات كثيرة، هذا خلافاً لأوامر الزوجة، والتى تطلب منك الذهاب للخياطة من أجل توبيخها بسبب أن الصديرية كانت واسعة ولكنها ضيقة من الكتف . كما أن سونيا الصغيرة فى حاجة لتغيير حذائها وأخت زوجتى تريد تغيير الحرير القرمزى بآخر أقل بمقدار عشرين كابييك وبشريط طوله ثلاث أرشينات[1] ... نعم، انتظر، سأقرأ لك (ويخرج من جيبه قائمة ويقرأها) : وعاء مصباح ، رطل سجق من لحم الخنزير المقدد ، قرنفل، قرفه بخمسة كابييك، زيت خروع لميشا . عشرة أرطال من السكر المجروش، ويجب إحضار الوعاء النحاسى أو هون السكر من البيت، وحامض الكربوليك وبعضاً من مبيد الحشرات، وبودرة بعشرة كابييك ، وعشرون زجاجة بيرة وخل مركز وكورسيه للمودموازيل شانو مقاس 82 ... تباً لذلك ، ويجب أن تأخذ الحذاء المطاطى والمعطف الخريفى الخاص بميشا . تلك طلبات الزوجة والأسرة. والآن حان وقت طلبات الأصدقاء والجيران ، ليذهبوا جميعاً إلى الجحيم . فغداً تحتفل أسرة فلاسين بعيد ميلاد فالوديا ويجب شراء عجلة له ، كما أن زوجة العقيد فيخرين حبلى ؛ ولذلك فأنا مضطر للذهاب يومياً إلى القابلة لدعوتها للحضور . وهكذا دواليك. أحمل خمس قوائم فى جيبى والملابس كلها فى اللفائف . وهكذا يا صديقى . فى وقت الفراغ بين العمل وميعاد القطار تجرى وتركض هنا وهناك عبر المدينة مثل الكلب الذى يلهث من التعب وتلعن الدنيا .

تخرج من المحل إلى الصيدلية ومن الصيدلية إلى الخياطة ومن عند الخياطة إلى محل اللحوم المقددة، ومن ثم إلى الصيدلية من جديد. تتعثر فى المشى ، وتفقد أموالك ، وتنسى دفع النقود فى مكان ثالث ويطاردونك بالشجار من أجل ذلك، وفى مكان رابع تدوس على ذيل فستان سيدة ... تفو! وتخرج من هذه النزهة فاقدًا عقلك ومنهك لدرجة أن عظامك تظل تؤلمك طوال الليل كما لو كانت تنهشها التماسيح. وها هى الطلبات قد تم تنفيذها وتم شراء كل شيء ، والآن كيف تحزم كل تلك الأشياء سوياً؟ على سبيل المثال ، كيف يمكنك وضع الهون النحاسى ويد الهون مع وعاء المصباح وأن يكون الكاربوليك والشاى مع بعض؟ كيف يمكنك تجميع زجاجات البيرة وتلك العجلة مع بعضها؟ وضع صعب لا يُحتمل ، شيء يذهب العقل ! أحجية ليس إلا . ومهما لملمت شتات عقلك وحكمت ذكاءك فلا مفر من أن ينكسر أو يقع شيء ما ، وتقف على محطة السكك الحديدية وفى عربة القطار مشدوداً وباسطاً يديك مدعمًا أحد الحزم بذقنك وواقفًا وسط الأكياس والكراتين والقمامة أيضًا . ويتحرك القطار ويبدأ الناس فى إلقاء أمتعتك فى كل اتجاه فقد شغلت بأمتعتك أماكن الآخرين. عندما أصل إلى ضيعتى، من المفترض بعد هذا التعب الشديد أن أشرب حتى الثمالة وأن آكل حتى الشبع – أليس ذلك صحيحاً؟- ولكن تظهر مشكلة أخرى . زوجتى تنتظر منذ فترة، وبمجرد أن أحتسى الشوربة تبدأ فى تعذيب عبد الله الضعيف وتقول : هل لديك مانع بأن نذهب إلى مسرحية للهواة أو إحدى حلقات الرقص فى مكان ما ؟ وبالطبع لا يمكننى الاعتراض؛ فأنت- زوج وكلمة «زوج» فى الترجمة إلى اللغة الدنماركية تعنى حيوان مستكين يمكنك

امتطاءه ونقل ما تشاء من حمولة على ظهره بدون أى تخوف من تدخل جمعية الرفق بالحيوان . وفى النهاية تذهب وتحدق بعينيك فى «فضيحة فى عائلة نبيلة» أو فى بعض « الترهات » ، تصفق بأمر من زوجتك ويصيبك السقم والوهن والذبول ، تنتظر فى أى لحظة الإصابة بالشلل . تنظر حولك إلى من يرقصون وتبحث لزوجتك عن شخص يرقص معها ، وإن لم تجد ذلك الشخص فيجب أن ترقص رقصة الكادريل . بعد كل ذلك تعود من المسرح أو الحفل الراقص بعد منتصف الليل ولا تبدو إنسانًا وإنما تبدو كما لو كنت جيفة ، ولا فائدة . ولكنك فى النهاية وصلت إلى هدفك : تجردت من ملابسك واستلقيت فى الفراش. وما روعة أن تغلق عينيك وتنام ... حتى الآن كل شيء على ما يرام حيث الدفء والشاعرية ؛ ولا يُسمع صوت للأطفال ولا يوجد أثر للزوجة وضميرى مرتاح جدًا ، ولا يوجد أفضل من ذلك . وما أن تغفو قليلاً حتى تسمع فجأة ... وفجأة صوت البعوض دززززززززز ! ... (ينتفض من مكانه) إنهم ثلاث ، اللعنة ، اللعنة على البعوض! (يشد علىَ قبضته) البعوض ! إنه وضع لا يُحتمل ولا يُطاق ولا مفر منه ! وتظل البعوضة تصدر صوتها بحزن وألم كما لو كانت تطلب السماح ولكن بمجرد أن تقرصك تلك اللئيمة ، تظل ساعة كاملة تحك جسدك ، تدخن وتضربها وتغطى رأسك ، ولا سبيل للنجاة من هذا ! فى النهاية تبصق وتستسلم لها مثل الفريسة ، وتمتص حتى الشبع تلك الملعونة! وبمجرد أن تتعود على البعوض يبدأ عذاب من نوع آخر : تبدأ زوجتى فى الصالة غناء القصائد الشعرية الرومانسية عن ظهر قلب بصوتها الرجولى . فبالنهار ينامون وبالليل يستعدون لتلك الحفلات الغنائية المحببة . يا إلهى! يا له من غناء ، إنه عذاب لا يمكن أن يُقارن بعذاب البعوض . (يغنى) «لا تقل أن الشباب ولى ...» ، «أنا أقف أمامك اليوم من جديد ، مفتونًا ...» أيتها الملعونات!

إنكم أنهكتمونى! ومن أجل التخفيف من وطأة تلك الأشياء ولو حتى قليلاً ، أشرع فى خدعة : أظل أطرق بإصبعى على صدغى بالقرب من أذنى وأفكر، أظل أطرق حوالى أربع ساعات حتى تتلاشى . أوه ، أعطنى يا أخى بعض الماء ... لا أستطيع ... حسنًا ، بهذه الطريقة ما ألبث أن أنام حتى أستيقظ سريعًا فى السادسة صباحًا وبالخطوة السريعة أتوجه إلى محطة السكك الحديدية مسرعًا وأخشى أن أتأخر على القطار فى الوحل والضباب والبرودة ، أف! وبعد وصولى إلى المدينة تدور الدائرة من البداية . وها أنا ذا يا أخى أختصر تلك الحياة الفاسدة ، والتى لا تتمناها حتى لعدوك . أتعلم! مرضت كثيرًا ، أشعر بضيق تنفس وحرقة ، دائمًا أهاب شيئًا ما ، معدتى لا تهضم الطعام ، وعيناى زائغتان ... هل تصدقنى إذا قلت لك إننى أصبحت مريضًا نفسيًا... (ينظر حوله) . وليبق هذا سرًا بيننا ... أنا بحاجة للذهاب إلى تشيتشوت أو ميرجييفسكى. ربما تجد يا أخى إبليسًا ما قد تجسد داخلى . فأنا هكذا وقت الغضب والتعب وعندما يَقْرصنى البعوض أو يقومون بالغناء تزوغ عيناي سريعًا ، وأقفز من مكانى فجأة وأجرى مثل المحروق عبر المنزل كله وأصرخ : « أتعطش للدماء! » وفى حقيقة الأمر أريد أن أطعن أحدًا بسكين أو أضرب أحدًا بكرسى فى رأسه. هذا ما تقودنى إليه حياة المصيف! ومع هذا لا أحد يأسف لحالك أو يتعاطف معك كما لو كان هذا شيء من الواجب القيام به ، لدرجة أنهم يضحكون. ولكن أفهم جيدًا ، على ما يبدو أننى حيوان ، أريد العيش! هذه ليست مسرحية كوميدية، إنها قصة تراجيدية! اسمع، إذا لم تعطنى مسدسًا ، فعلى الأقل أريد أن أشعر منك ببعض التعاطف!

موراشكين : أنا متعاطف معك .

تالكاتشوف : أرى مدى تعاطفك معي ... اسمح لى . سأذهب لشراء سمك الرنجة والسجق ... ويجب أيضا شراء مسحوق تنظيف الأسنان ، وبعد ذلك سأذهب لمحطة القطار .

موراشكين : وأين تعيش فى المصيف ؟

تالكاتشوف : على ضفاف النهر الميت .

موراشكين : (بسعادة) اسمع ، أليس صحيحا؟ أتعرف هناك إحدى المصيفات تُدعى أولجا بافلافنا فينبيرج؟

تالكاتشوف : أعرف ، فأنا على معرفة بها أيضا .

موراشكين : ماذا تقول؟ يا لها من صدفه ! اسمع بالمناسبة ، من اللطيف منك أن ...

تالكاتشوف : ماذا تريد؟

موراشكين : يا عزيزي ، يا صديقى ، ألا يمكنك أن تسدي لى خدمة واحدة صغيرة! كن صديقا وفيا! أعطني كلمة شرف بأنك ستنفذها .

تالكاتشوف : ماذا تريد؟

موراشكين : ليس خدمة بل صداقة ! أتوسل إليك يا عزيزى .

أولا: بلغ تحياتي لأولجا بافلافنا وقل لها إنني حيٌ وبصحة جيدة وأقبل يدها .

ثانيا: قل لها شيئا آخر . فقد أمرتني أن أشتري لها ماكينة خياطة وأرسلها لها مع شخص ما ... خذها معك لها يا عزيزي ! وبالمناسبة ممكن أن تأخذ معك بالمرة هذا القفص ، به عصفور كناريا ... ولكن كن حذراً وأنت تحمله حتى لا ينكسر الباب ... لماذا تنظر إليَ هكذا؟

تالكاتشوف : ماكينة خياطة ... قفص عصفور الكناريا ... عصافير ... شرشور[2]...

موراشكين : إيفان إيفانيتش ، ماذا حلَّ بك؟ لماذا أنت غاضب هكذا؟

تالكاتشوف : أحضر لى الماكينة إلى هنا! أين القفص؟ وامتطِ الجواد، اقتل الإنسان وعذبه ! واقض عليه ! (يحكم قبضته) أتعطش للدماء ! دماء ! دماء !

(يضرب الأرض بقدميه)

موراشكين : لقد فقدت عقلك !

تالكاتشوف : (يهجم عليه) أتعطش للدماء ! للدماء .

موراشكين : (فى هلع) . لقد جُن جنونه ! (يصرخ وينادى) : بتروشكا ! ماريا ! أين أنتم؟ أنقذونى يا ناس!

تالكاتشوف : (يطارده في الغرفة) . أتعطش للدماء! للدماء!

تسدل الستار

****